متفرقات (تابع)

نشرها الاب اغناطيوس عبده خلفه اليسوعي

٧

راجت في لبنان الحياة الرهبانية عند تأسيسها على يد من سيدعى يوماً الى الاسقفية عبدالله بن ميخائيل قراعلي . واحد الرهبان . وخاصة المتوفقون بينهم بكتاباتهم ومواعظهم وتآليفهم المختلفة يسدون الآراء لتوجيه من اراد ان يسير معهم في طريق الكمال . وها نحن ننشر هنا رسالة بالسؤال والجواب وفيها قيمة المؤلف والطريقة المستعملة لتدريب النفس :

[١١٣] صورة المتريضين

تأليف الاب القديس الكلي الشرف والاحترام عبدالله ابن مخائيل قراعلي الماروني الحلبي اسقف بيروت سنة ١٧٣٠ مسيحية .

قال التايب لله الحي ما الذي تريده مني ؟

اجابه : اريد منك ان تسعى نحو الغرض الذي خلقتك لاجله .

س : ما هو الغرض يا رب الذي خلقتني لاجله ؟

ج : هو ان تكون معي وارثاً جنتي .

س : هل تمنحني جنتك بشرط ام مجاناً بغير شرط ؟

ج : لا امنحك اياها الاّ بشرط لازم . وهو انك تخدمني في هذه الحياة كما اريد .

س : من اين اعرف يا رب ما تريد ؟

ج : تعرف ذلك من دليلين . الاول ذمتك والثاني الكتب الروحية .

س : نعم يا رب ان ذمتي كانت مجتمعة صاحية . فحقاً انها تدلني على ما تريده انت مني . ولكن متى كانت تايهة سكرانة من قبل خطاياي وعوايدي الردية فلم يبقَ لها قوة على ان تدلني على ارادتك فحينئذ ما اصنع .

ج : اسمع يا عبدي لو يأتيك مكتوب من الامير او الملك بان تعمل

بما فيه ورأيت هذا المكتوب سليم الخط لا يفهم معناه بسهولة اما كنت تأخذ هذا المكتوب تعتزل به ناحية منفرداً لتفهم ما فيه جيداً . وان امكنك وجدت رجلاً تثق بصداقته وله براعة بالقراءة . اما تأخذه معك ليساعدك على ادراك معاني الكتاب . فهذا بالتمام افعله مع دمتك اذا كانت سكرانة من قبل خطاياك الكثيرة كما قلت . اعتزل بنفسك [١١٤] مكاناً منفرداً ومعك كاهن تثق بمعرفته وفضله . وحاك ما بينك وبينه تتفهم جيداً احكام دمتك وما هو الواجب عليك تركه وما هو الواجب عليك عمله وحينئذ تستغني بعلم ما اريده منك انا ربك ويتسهل لك العمل بخدمتي . وتبلغ بواسطتها الى ميراث حتي تمام غرضي في خلقتك

س : نعم يا رب ويعد ان تدنني دمتي على ما يلزمني من خدمتك ورأيت نيتي ثابتة على العمل بخدمتك . بل عزمي متقلق قلق . فحينئذ ماذا اصنع ؟

ج : اقصد حينئذ الدليل الثاني السابق ذكره اعني الكتب الروحية فتلك تشدد عزمك نحو طاعتي وتقوم بخدمتي وليكن ذلك بمشورة الكاهن مرشدك .

س : واذا بقيت انا بعد قرآني الكتب الروحيـــة واستماعي تعليم الكاهن مرشدي . فاتر القلب مسجس النية غير راغب خدمتك . فحينئذ ماذا اصنع ؟

ج : اعلم يا عبدي ان هذا المصاب يصيب كثيرين من المتريضين بالانفراد وسببه ليس بواحد بل جملة اسباب . فالأول لان البعض من المتريضين لا يكشفون افكارهم بالتمام لمرشدهم . بل يبقوا في زوايا قلوبهم اشياء خفية لا يظهروها او يظهروها . ولكن بنوع لا يفهمها المرشد جيداً تمام ما هي . ولذلك امسك نعمتي عنهم فلا ينتفعون من قرآة الكتب الروحية شيأ ولا من ارشاد المرشد . ويمكثون غير مستقيمين النية في خدمتي وبالواجب يصيبهم ذلك . اذ كان من لا يظهر اوجاعه للطبيب بالتمام لا يناله الشفا التام . الثاني ان البعض من المتريضين يكشفون افكارهم [١١٥] للمرشد كما ينبغي . لكنهم لا يتدبرون في ايام انفرادهم بتمام التدبير الذي يحده لهم المرشد . بل باهمال وتقص حرص يكملون رسومه لهم . فهؤلاء ايضاً لا ينتفعون من قرآة الكتب الروحية وارشاد المرشد الا قليلاً ونادراً . ويحكم العدل امسك عنهم نعمتي استقامة النية في خدمتي . لان من يتهامل في ان يتعلم ما يفيده لا يستحق ان يعطى له علم ما يفيده . الثالث ان البعض من المتريضين يكشفون افكارهم لمرشدهم بالتمام . ويجتهدون بحفظ تدبيره لهم في ايام الرياضة بقدر قوتهم . ومع ذلك لا تعطى لهم استقامة النية على خدمتي ولا ترشدهم الى ذلك قرآة الكتب الروحية بالتمام . والسبب هو سالف تمكنهم بالعوايد الردية والملكات الضدية . وقد كان يلزمهم ان يستعملوا

الانفراد والتأمل باحوالهم في كل سنة مرتين وثلاثة لعلهم يقنعوا ذمتهم ويعصبوا ميلهم الطبيعي الى ارضوان بخدمتي اذا كان المريض المستطيل يلزمه مداومة الطب ليحصل على العافية . ولأن هؤلاء يكررون عمل الطب اي لا يكررون عمل الانفراد فلا يعطون نعمة استقامة النية نحو خدمتي . وحقيقتهم هي انهم يشتهون خدمتي شهوة لا يريدونها حقيقة . الرابع قد يوجد من يكشف افكاره لمرشده كما يجب . ولم يكن مستغرقاً في عادة ردية بل ساعي بسيرة جيدة . ومع ذلك يحس بنفسه اثر خرف من تقلقل النية في خدمتي . وهذا الخرف فهو سياسة من حكمتي . لانني لا اريد لمثل هذا يكونوا مطمانين على انفسهم . لئلا يشرف عليهم التوهم بذواتهم [١١٦] انهم ملكوا فضيلة ثبات النية على خدمتي . فيعجبون ويلحقهم ضرر العجب . فلذلك الحقهم انا بهذا الشك فيحصلون متمرسين مرتابين بانفسهم رامين ذواتهم . ويبتهلون الي في ان امنحهم ثبات العزم في خدمتي . مع انهم ثابتين العزم في خدمتي . فيخرجون من الرياضة خجلين في انفسهم . وبالتواضع مستغرقين . فهؤلاي لهم نعمتي باستقامة النية . كانهم اخذوا عربون ميراث جنتي تمام غرضي بخلقتهم وغايتهم .

س : قد يلوح من كلامك يا رب ان كل من ينفرد لعمل الرياضة عالماً كان او ساذجاً وكشف افكاره لمرشده بالتمام وكما يجب واعرض عليه جميعا (جميع ما) اكتسبه لنفسه من قرآة الكتب والالهامات ورفض رايه بالكل وتبع رأي مرشده . ولو كان مرشده اقل علماً منه . فهذا تستضي ذمته بمعرفة ما يلزمه من عبادتك ويرزق نعمة استقامة النية على خدمتك . لكن بعد هذه المواهب التي حظى بها قد تحققت له ميراث جنتك ام لا .؟

ج : هذا على الارجح انه يموت بنعمتي ويحظى بميراث ملكوتي تمام قصدي بخلقته وغايته رزقنا الله ذلك امين .

٨

هناك نوع من التعبير عن الصداقة والحب كوّن في اللغة العربية — كما وفي سائر اللغات — اسلوباً شائقاً من الحنان والحنين . ولقد توصّل البعض بمهارتهم وتضلّعهم من اللغة ان يتحفونا بجميل التعبير وعمق المعنى وسلامة الافكار ما يشوّق القارئ ويفرّح كربته . وها نحن ننشر في ما يلي قطعةً فيها الشيء الكثير من العاطفة وحسن التخلص لولا بعض المراجعات والسجع الذي لا نستسيغه اليوم .

جواب كتاب لأحد الأحباب

تحمل سلامي يا نسيم وسر به وعرّج على ذاك الغزال وسربه
وهب بانفاس عليه عليله تجره عن شرح حال محبسه
ونخ في ذرا تلك المنازل والنذا وبالغ عن المشتاق في بثّ كربه
وبلغ رسالات الصبابة والهوى ليشدو بذكراها الحمام بقربه
[١١٧] ترى هل درى عن فيض دمعي ماجرى على خد مفتون الغرام وصبّه
وبين طلوعي لوعة من فراقه اذا اوقدت لا تنطفى دون قربه
وماذا عسى تعني الرسايل عن فتى وقد اشعلت بالشوق نيران قلبه
ولله حب خافق القلب بالهوى يكاد هواه ان يطير للبه
له مذ يوم انبين ما عرف الكرى ولا علق الضيف الشدود بهدبه
ولكنه طوّى الصبابة والجوى متى يدعه داعي الغرام يلبّه

يا من حوى اللطافة والزرافة بالسلوك . واللفظ الذي كالجوهر المنظوم بالسلوك. روحي وراحي وراحتي. وساعدي وساعدي وراحتي. الاخ الاكرم المحترم حرسه الله تعالى . وكان عنه كل شرّ حاجب . ويسّر مصالحه في كل وقت وقرّب منالها بأقرب من العين الى الحاجب. ما حنّ مشتاق . وانّ وناق . وحاجت به البلابل . وناح حمام . وفرد يمام . وغردن على الافنان البلابل . وما شدا شاد على جنك وعود مطار. وغنى عندليب الروض فوق عود وطار . وما تمايل الساقي وادار كاسات العقار. وهو مشمول من الخمار. وغنت قينة على صوت المثاني وازاحت عنها الازار والخمار. وما قابلها المحبوب بمراسلة الالحان . وألوى بدلاله على ورد العذار. وحنت لديه الصبابة والتيم وخلع العذار . وما صبى قلب المشوق الى لقاء احبابه وهوى الى عمق الهوى . وجذبته الاشواق الى التلاق كجذب مغناطيس الهوى وما حدى حادي التياق في كل ربع ونادى بنغمات الاشتياق من مستعار وحزام وسنبلي ونادى. الا وثقت بان اهديكم سلاماً وافياً يعلو سناه ضو وقر . قد [١١٨] اكتسب كل عرف عاطر واغتصبه وقر. الطف من نسيم الاسحار. يصيد حبات القلوب كما تصيد للطيور الاسحار. ويعرب عن ود وثيق رقيق يسبي العقول بجلال الاسحار. نشره ارج منه الورد والجلنار والاس حار. اعذب من رنة سنطير او كمان . او اوتار . اذ جاس جيش الهم لحرب الشجي اوتار. وتحيات يعتاض بها المتيم عن نغمة القانون . ويتطيب بذكرها بما يغنى عن القانون . صادرة من اخلاص رد اكيد معنون . من محبّ صادق يصبح ويبيت من جرح النوى معنون . وتسليمات اكتسب البرق سنا لمعانها وقدح . تغنى الندامى

عن شرب الحميا بين كاس وقدح. حدث معناها عن جمال المحب وعن شوقه شرح. وازال الكروب عن القلوب وللصدور شرح . يتحف ويهدى لمن تبهرج وتزين به كل صقع مع ارض . وصرت به وفاناً وبغير عشرته لمن ارضى .

شعر :

يا سابلي عنه لما جيت امدحه هذا هو الرجل العاري من العار
عاشرته فرأيت الناس في رجل والدهر في ساعة والارض في دار

اعنى به من تشرف وتحلى بمنيف اسمه تاج الكتاب والعنوان . كريم الطباع . ذو الاتضاع . خال من التكبر والعنوان . لا زال قدره سامياً . وفضله نامياً في كل واد وحي. بعون الحي القيوم الذي امره نافذ فيه كل ميت وحي. هذا وان مخلتكم في لاعج شوق وتوق سما . وارتحه البعاد حتى كاد لا يدري احد بارض ام سما.

شعر :

لي مدمع وصبيبه في حب من وصبي به
وجوى غدا ولهيبه في حب من ولعي به

[١١٩] ولم يزل يلهج بذكركم قلباً ولساناً ان سكت اوفاه . طالباً جمع الشمل من ربه ويعزه تعالى ان يمنحه من هذا العطاء اوفاه . ثم ان تفضلتم بالسؤال عنه في اي حال . حمداً لله تعالى طيب القلب وعن محبتكم ما حال . لا يشغله عندكم لا بنون ولا مال . وهو مستديم في رق رعي الود والعهد لكم لا نكث ولا مال . وقد شق جسمه اذ فراقكم الى عمق النحول اهواه . لم يذق طعم الرقاد سادياً في ليله الاواه . وقد آل به الهيام حتى صيره برق العود . وهو لم يزل معطر الاوقات بطيب ذكركم الشايق نشر العود . راجياً من كرمه تعالى التلاق والوصل. وانعقاد سلك التهاني بعد قطعه والوصل . وفي ايمن ساعة سعيدة حسناء . ابهج من ملاحة حسناء . وردت رسالتكم ذات الجمال البديع . المجتنى فوائد نثرها ونظمها من رياض فن البديع . اعلان من الجنان واسما . فايقة على ليلى واسما . فصبون اليها من غير مانع ولا جناح. وقلبي يخفق كطاير ذو جناح. وتناولتها بالكف والراحة . وقلت بذلك السكون والراحة . واستقبلتها بالعنبر والند والمسك الختام . ولثمتها الفاً بعد فض الختام . وانشدت قول ابن همام في مدحها يا همام:

شعر :

لقد اقبلت تزهو على العجم والعرب فقبلتها من قبل ان ترفع الحجب
وجلت فحلت من يمشي لبعدها وحيت فاحيت ميتاً كان في الترب

تملّت فأجلت كرب قلبي المعذبه وبدد واصلته اوصلته الى المطرب
تبدت ابادت عن نوادي كآبة وعن مهجتي حزناً وعن قلبي الكرب
وقلب المعنّى كلمت حين كلمت وماست اماتت عاشقيها من الوصب
[١٢٠] وعن حسنها الماروت روّت احتسا وأطمت برو رياها غليلاً حكى اللهب
نحوي حكت لطفاً ولكن بحسنها جمال الذي منه اكتسته بلا ريب
بديع بليغ مغلق واهر البقا محاسنه بشر والحاظه حتف
لطيف ظريف جوري ولا عجب اديب اريب ماجد فاخر النسب
وقد فاح نشر المسك من نشر صيبا وقد سفرت فاقت على الشمس والشهب
فعند ذلك تقوى بي القلب وانبرى وحمدت خالق الارض والحمد لله

مرسيها بسحة وعافية ونعمة من الله غير خافية . وكانت عيني من امرف الاعين وموارد ولا لظباء اعذب مشارب وموارد . ورتع الطرف في معاني حسنه وماظر وتنزه في حسن روضها الاريض والناظر . فوجدتها لكل انسان عيناً . ولكل ظبي مهلاً وعيناً . فلله در منشيها على هذا الوشي الجليل . ولا زال ملحوظاً ومحفوظاً بعناية من رسم رسمه الالهي في الجليل . اذ انها مسكرة ولا خمر الطلا . ومفتنة ولا جيد الطلا . وقاطعة لغلاظة الهمّ ولا حد الظبا وتحاكي بالتفات المعاني ولا التفات الظبا . كل قلب اليها صبا . ويخال انها نسيم الصبا . تشابه الروض الباسم المكلل بالظل وفداه . والشاري الاغن اذ اخلع بصوته وفداه . واذهبت بمطالعتها مني حساً ومعقول . وصيرت لساني ابكماً ومعقول . فانشدت في منشيها اقول شعراً :

ايا من قد حوى لحظاً ولفظاً بحسنها محى ضرّ الخاضر
عجبت لبرد لفظك كيف اهدى الى قلبي هو اجر الحواجر
اعيذك من سهاد في جفوني ومن دمع محا جرم المحاجر

[١٢١] نسمات البان في اردانها تمسكت . وعذبات الرند من معطارها تمسكت . اذهلت كل زاير وخاطر . وكم شرحت لمعنّا صدراً وخاطر . فأهلت من سروري مني الغروب . ونفت الكروب . وجعلتهم عني غروب . وركنت مني روعي وبالي . واذهبت عني وبالي . وصيرته متلاشياً وبالي . فعجبت من الزمان كيف سمح وعفا . وقبض ربع الهم عني وعفا . وذاك اذ اعربت عن صحة سلامة من يبعده عيل منّي الصبر . وتجرعت من فراقه كاساً امرّ من الصبر . وجنحت الى لقياه البهيج مني جوانح . ولم تزل الطاف معانيه محصورة في الذهن . مطبوعة في العقل وبالفكر والجوانح . وذكره لم يزل في اللسان وريد . وهو عندي اعز من حبل الوريد . ولم يزل دمعي من بعده مسلسل . كيف لا والود فيما بيننا قديم ومسلسل متذكراً ومتأسفاً على زمن سلف . ومشتهراً بين الاحل والسلف .

شعر :

صب يصب الدمع من جفنه صبابة من بعد احبابه
من بعدهم يشكو ومن بعدهم رثى له الشامت مما به

ولم ازل والغارب من جفوني سايل . والى رب المشارق والمغارب سايل . ان يجمع شملي بمن غدا من الزمان انسان العين . وبين الخلان فايقاً بهجة العين . حرسه الله وجعل السعادة جارية بين يديه كالعين . ولا زال في كل الامور طايلاً منه الساعد والزند . ونجم سعده قادح كقدح الزند . ونعم الباري تعالى منصة عليه رواحل وقوافل . وحادثات الدهر عنه دواحل وابوابها قوافل . والميثل من عوايدك الجميلة ايها الصديق الحميم والاعز [١٢٢] رفيق . ان تتحف اخف من فوايدك الجزيلة باعلام السلام ولا تجرعه كاس الحميم وتكن به رفيق . وتعامله بعظيم الاحلام . لانك هديته في اليقظة وفي الاحلام . ولا تدعه مستطلعاً لذلك لان بعدكم قد جرح منه الجوارح . ومزقها تمزيق الفريسة من الطيور الجوارح . يتردد في خلواته بذكركم اذا ما الليل جنّ . حتى خيل من الاقارب انه جن .

شعر :

تذكرت عيشاً مرّ حلوًا بكم فهل لاياماً تلك الذواهب واهبُ
وما انصرفت امال نفسي لغيركم وما انا عن هذه الرغايب غايبُ
سأصبر كرهاً في النوى غير طايع لعل زماني بالحبايب آيبُ

او كما قال : شعر :

امسي واصبح من تذاكركم وصباً يرثي لي المشفقان الاهل والولدُ
قد خدد الدمع خدي من تذكركم واعتادني المضنيان الوجد والكمدُ
وغاب عن مقلتي نومي لغيبتكم وخانني المسعدان الصبر والجلدُ
لا غرو للدمع ان تجري غواربه يحثه المظلمان القلب والكبدُ
لم يبقَ غير خفي الروح في جسدي فذلك الباقيان الروح والجسدُ

والمرجو تبليغ الخ ايها الصديق الصفي . والاخ الوفي . اما قولكم في الرسالة الاولى بانني قد مدحتكم بمدح اكبر الاكابر . وانتم حاشاكم من اصغر الاصاغر فانتم عندي اعزّ من كابر عن كابر . وهذا اقوله شفاهاً ولسان . والله عالم بصدق الخافي والبيان . بان جميع ما حررته لكم من المديح ليس فقط هو القول الصحيح . بل انه تزيّن بكم . لا انتم تزيّنتم به كغيركم . وقد لاقى بكم في هذا (١٢٣) المعنى والترتيب : قول المتنبي ابي الطيّب :

شعر :

وعظم قدرك في الاوفاق اوهمني اني بقلت ما اثنيت اهجوك

او كما قال شعر:

قادت اليك زمام الدهر اربعةٌ وهي الهدى والندى والعلم والشيم
وهذبت منك خلق الدهر اربعة الاصل والطبع والاخلاق والشيم
وصاحبت منك قول الصدق اربعة العهد والوعد والميثاق والذمم

وطلبكم بها انه اذا كاتبتكم لاعدت اكاتبكم تمدح هكذا وتطويل. فهو الذي اوهمني انكم صبوتم الاختصار في الاقاويل. ورأيتي انه قد ارعجكم ذلك حيث انكم لستم من الذي هو عار من هذا الفن. بل من الذي رقاه وحار عنه وعليه ما عن. ويقتضي من لياقتكم رد الجواب واسباب الخطاب وانصب الافكار في هذه الاوقات ليس بصواب فبينا ترومت ذلك وحررت الجواب انه ما القصد في تحريراتي هكذا الا فقط تسليتكم وانا راضي بسطرين تعطيني من صحة سلامتكم. واني احتصر ليلا يحصل لكم الارتياح. واسليكم بمكاتبات الغير لتكون لغم الزعل والوحدة علاج وانشراح. فنسيتم في مشرفتكم الثانية ذلك الى السلو والوسيلة للاختصار. عن تحريرات المودة. بقولكم الجديد له لذة. فحاشاكم ان تكونوا مصيرين على هذا العزم بما نسبتموني اليه من السلوان. والواء العناء. وحاشاي ان اكون ذلك الانسان. بل ذلك الخوان. الذي ينقلب كل دقيقة من الاخوان الوان. وعقلكم وقلبكم الشاهدان العدلان. انني لست ممن يناقش. ولا ابي براقش. فاسمع ايها الحبيب ما قاله [١٢٤] عن شرح حالي في هذا المعنى الشاعر اللبيب والناظم الاديب:

شعر:

قال الحبيب اشغلت قلبك بالسوى فأجبت يوماً عنك قلبي ما اشتغل
قال الفواد لقد سلا قلت انسلا قال احتمي بالصبر قلت فما احتمل
قال انتهى عنه وسل يا مدعي فأجبت يوماً ما لفقدي منك حل
ان الحبيبة لانت هي لا انتهى عنها فقل لي يا حبيبي ما العمل

فهذا شرح حالي على التمام. وسلمك الله والسلام. غير اني من بعادكم اتسلا بهذا:

شعر:

انا في حالي نقيض معكم وهو في شرح الهوى ما لا يسوغ
بلى الصبر وأضحى هرماً والمنا في وصلكم دون البلوغ

شعر:

هذا ودُم كالنسر مرتفعاً وعال بعمرٍ لا يزال ابداً جديدا

٩

فنّ الرسالة يتطلب وضوحاً في التقاسيم ومنطقاً في التسلسل وحكمة في الاقحام وفذلكة في التعبير للاقناع وسيطرةً على قمة الاسلوب لدحض مرامع المرسل اليه او للتقرب اليه او لاظهار العواطف السامية . ولقد نشر هذه الرسائل التالية وبها من قوة الحجة تارة ومن صناعة التعبير مرة اخرى ومن النعومة طوراً من القساوة اخرى ما نقدّره في مؤلفيه ونعرفه عنهم .

رسالة حضرت لي من جناب الشيخ قاسم بن كليب نكد وانا يومئذ في حلب

ما عسعس ليل الوجد والغرام . وتنفس صبح القرب بالابتسام وبكت سحب الشوق بالسجام . وضحك روض الانس عن زهر الاكمام . وصدحت بلابل الشوق في حمائل القلب . واترعت غدران الفواجر اي لثة الخطوب الا وهيّجت وجداً يرتّع بالفؤاد . واروى به نار الزناد . الى حضرة الجدن الاوحد . والخل الامجد . بيبؤ عين الكمال . وواسي هام الاجلال . قرة الناظر . الحاضر بالخاطر . من هو لظلام الهجران نبراس . وسويد الفؤاد له كناس . الخب الصادق المعلم الياس . (١٢٥) دام مكلوءً من البأس . ولا زالت شموس سعده بدارة الحمل . وبدر مجده بأوج السعود مكتمل . وروض أنسه ناعماً بالازهار . وصوادح سروره تزوى بنغمة الاوتار . ولا برحت حركات فعله قايدته الى الاقبال . ومساعيه تدنيه من بلوغ الآمال . وتعوج به الى احسن مآل . وتقر به الى الاطلال امين . غب شوق تضاعف حتى كاد كالطود العظيم . وفرط توق احرق الصميم . قد غادر القلب هايماً . والطرف الى برق اللقا شايماً . الى مشاهدة تلك الذات . دامت مطمآنة (مطمئنة) من السؤات . نبدى انه منذ نأيتم عن العين . وبعدت الشقة والاين . قد تقطب وجه الزمان وعبس . وانمحى رسم السرور وانطمس . الى ان بزغت شمس الهداية بتقدير العزيز العليم . وتلألأت كواكب العناية من العلي الكريم . فألف بين القلوب وزال منها البغضاء . واشفاها من داء التنافر بعد ان كانت مرضاء . الآ قليلاً من على قلبه ادران . ورمى بسهام الخذلان . فشمروا للحرب عن ساق . وتجاوروا في كشف الغمة في حلبة السباق . فثارت الحرب العوان . وكثر القتال والطعان . حتى كادت الارواح تبلغ (تمحو في النص) . وأدنت بالفراق . ودامت هذه الوقايع بانتصار وخذلان . الى العشر الاول من شعبان . فهبت نسمات التوفيق . من لطف الرحيم الشفيق . وجعل الدايرة على الظالمين . وانصرفوا على اعقابهم ناكصين . وربما حلّوا بالدهناء . القا (القى) الله تعالى بين اعلامهم العداوة والشحناء . وانقلب ما كان من تغيّر الخاطر من

وفي الامر على هذا الجمهور على من نصبه علماً لتلك الامور . فأسدينا لله حمداً وشكراً اعلى منال [١٢٦] المطلوب . وحصول المرغوب . فمن ثم برزت كواعب الافراح من خدور التهاني . وحليت عرايس الانشراح ببلوغ الاماني . وشدت ورق السرور على الافنان . واعلنت بترجيعها الامان الامان . وآذنت للتآي بالاياب ليكمل الحبور وتقر به عيون الاصحاب . فغاية المامول ان تنفرا ركاب السرا . وتقطعوا برقال (هكذا) العيس البرا . ولا يقدح بالفكر الثاقب ان بنى كما تظنون بالسابق متعب . فسأله تعالى ان يقرب قدومكم الى الاوطان . بكامل الصحة والسرور والاطمئنان . ليحلى ليل الهجران . انه قدير وكريم منان . ودمتم بأمان والسلام .

في ٣٠ تشرين سنة ١٢٠٣

محب مخلص

قاسم

نكد

م

رسالة عبدالله زاخر للبطرك كير اثناسيوس انار الله عقله امين

وبعد فقد بلغني الآن ما فعلتموه ايضاً ضدي بل ضد نفسكم من تحريمكم الكتب التي الزمتموني بتأليفها لاقتلاع الزوان الذي ابدرتموه في بيعة الله . فهذا الامر الذي هو بعجيب لصدوره عنكم . وقد كنت متوقعه منكم . غير اني اتعجب كيف انكم رأيتم عدم مناقضة هذين القولين . وهما قولكم بانكم تقبلون التعليم الذي تضمنته هذه الكتب . ثم قولكم بعد ذلك انها محرومة لا يجوز قراءتها . فليت شعري كيف يمكن اتفاق هذين الامرين . على انه ان كانت هذه الكتب محرومة . ومحروم من يقرأها . فيكون التعليم الذي تضمنته محروماً فاسداً . حيث ان هذه الكتب ليس هي شيئاً آخر سوى ما تضمنته من التعليم ولا يمكن ان يفهم بها سوى التعليم المحوى فيها . [١٢٧] والحال قد قلتم انكم تقبلون هذا التعليم فكيف اذاً ناقضتم اقراركم هذا الذي لا حقيقة له بحرمكم لها . ورضيتم لنفسكم هذا التلوّن المضحك الذي توهمتم به ارضاء الكاثوليكيين والمشاقين . غير انكم تعترضون اولاً بانكم لا تقبلون الشتايم الموجودة فيها كقولنا عن مجمعكم الذي الف تلك التعاليم الفاسدة انه مجمع لصوصي فاسد مضاهي مجامع اليهود التي عقدتها رؤساؤهم ضد رسل المسيح وغير ذلك . اما انا فأقول حقاً اني لمقصر بذلك .

ولن اقم بواجب هذا المجمع كما ينبغي لشأنه . ولذلك انعجب من عدم رضاكم بهذا الامر ولا اعلم مادا كنتم تريدون ان تدعوا مجمعكم هذا الذي دعوتموه انتم مقدساً هل انه ما كان يجب ان يدعى لصوصياً اقتداء بالكنيسة التي دعيت بهذا الاسم . ذاك المجمع الذي عقده ديسقورس في افسس . والحال اذاك لم يصدر منه اعمال اثيمة ظالمة بأكثر مما صدر عن هذا . ولم يجتمع خلاف الترتيب الكنايسي بأبلغ ما اتصل به هذا من عدم الترتيب . واما كان يجب يدعى فاسداً مدنساً .

والحال انك انت احد اعضاء هذا المجمع لا تستطيع ان تنكر فساد هذه التعاليم الذي (التي) دونتموها فيه لفساد المؤمنين وضلالهم بل قد تعترف بذلك اضطراراً امام الذين لا يمكنك الانكار امامهم . ثم انه أما كان يجب ان يتسمه بجامع رؤساء كهنة اليهود الذين كانوا يحاربون الرسل ويمنعوهم ان يتدروا باسم المسيح حفظاً لرياستهم . والحال انتم فعلتم كذلك اذ اجتهدتم ان تمنعوا الناس من الاعتراف برياسة نايب المسيح مراعاةً لرياستكم فبماذا تجاوزنا الحدود الواجبة . وما الذي قلناه خلاف [١٢٨] الحق وبنوع لا يليق . فهل لاننا اطلقنا هذه الصفاة (الصفات) الحقيرة على اناس اساقفة رؤساء كهنة . الاّ ان الكتب المقدسة تدعوا مثل هؤلاء الاساقفة المنشقين عن بيعة الله لصوصاً وسراقاً وذباباً خاطفة . وعميان وقادة عميان . وكلاباً كلبة . ومعلمين كذبة ولعاباً مستهزيين بالغرور . وغيوناً وغيوماً لا ماء فيها . ومسيحيين كذابين . وغير ذلك من الالقاب المحتقرة . فنكون نحن انما دعينا لصوصاً هؤلاي الذين تدعوهم الكتب المقدسة بجملة هذه الالقاب لخروجهم عن بيعة الله ومنافقتهم فيما ينبغي للايمان والاخلاص . ولعمري انه ليس هو بغير لايق ان يجاب السفيه نحو سفاهته ليلا يظهر عند نفسه حكيماً كما قال الحكيم . ومن العدل ان يهاب ويحتقر من يهين بيعة الله ويحتقرها . والحال انكم قد تجنيتم بسفاهة لا تحتمل على بيعة الله المترهة عن العيب والغدر . واحتقرتموها بالفاظ شنعة كثيرة . فلذلك كان من العدل ان تجلبوا على هذا النحو

ولا حق لكم بأن تستصعبوا ما يحتقرون به بوجه الحق اذ كنتم تقدمتم فاحتقرتم بيعة الله بالباطل . ولكن انا اعلم بل قد بلغني ما اعترضتم به ثانياً بقولكم اين وجدتم يا مسيحيين ان رجلاً عالماً يصنف كتباً وصلوات يبطل بها صلوات التقديس باسيليوس وفم الذهب وللمشتي واظنك تشير بهذه الصلوات الى الصلوات التي ألفتها بغير قصد ألامُ به امام الله . وهي صلوات القربان المقدس . ولذلك ينبغي لي ان أجيبك عن هذه اولا واقول هل يجوز وانتم رؤسا كهنة ان تستبيحوا الكذب وتفروا [١٢٩] على الناس بالباطل امام المذابح المقدسة حيث تقدّم ذبيحة

الاستغفار عن جهالات الشعب. قل لي من اين عرفتم انني انا ألفت هذه الصلوات لتبطيل صلوات الاباء القديسين . هل لانني صنفت هذه الصلوات بعد وجود صلواتهم المتقدمة . الاّ ان فم الذهب صنف بعد باسيليوس صلواته . مع ان صلوات القديس باسيليوس كانت كافية وقد كانت بالوجود . فهل انه فعل ذلك بقصد تبطيل صلوات باسيليوس . ثم بعده بسنين كثيرة صنف الدمشقي ايضاً اقاشينه التي تتناول القربان المقدس . فهل انه فعل ذلك لتبطيل صلوات فم الذهب وباسيليوس . ثم بعده بسنين كثيرة صنف ايضاً اغابيوس مؤلف خلاص الخطأة اقشينين مستطيلين لتناول الاسرار المقدسة قبل وبعد . فهل انه ابطل بذلك صلوات الاباء المتقدمين . ثم ان سمعان الرجل المافق المشاقق اذ ألف الصلوات التي وضعتموها له من صلوات الاباء في المطالب تلك التي لا تجوز قراءتها اصلاً . هل كان قصده بذلك نزع صلوات الآباء كلاّ . انه لا يمكن لمذي نور طبيعي ان ينتج هذه النتيجة. فمن اين استنتجتم انتم انني فعلت ذلك لابطل صلوات الاباء القديسين . واقترأتم عليّ بهذا الامر امام المذابح المقدسة بحضرة الله الذي انت عتيد ان ترد له جواباً عن كل كلمة بطالة . حيث كان يجب قلّما يكون ان تحفظوا فيه الصدق . وتباينوا الكذب والافتراء . فانا حقاً ألفت ثلاثة اقاشين توسلاً الى الثالوث الاقدس قبل تناول القربان واقشين شكر لسيدنا يسوع المسيح بعد ذلك . الاّ انني [١٣٠] فعلت ذلك بقصد بسيط خال من كل غرض يوجب عليّ لوماً امام الله والناس . ولم افعل ذلك للناس . ولا اردت ان تتمسك بها الناس . حتى ولا عرفت هذه الصلوات سوى من بعض اشخاص خصوصيين قليلين جداً . وهذا لا لوم عليّ به اصلاً . وكان هذا مني منذ عشر سنين او اقل يسيراً . وقد رددت لك عنه هذا الجواب منذ سنتين . فباطلاً اذاً توردونه الآن محتجين به اذ لم تجدوا لكم ذنباً عليّ يحرز الاحتجاج .

ولكنكم لا تزالون تقولون انني رجل عالمي ولا سلطان لي بهذا . لا سيما بتأليف هذه الكتب التي نقضت بها تلك التعاليم الاراتيكية المضادة استقامة الايمان . على انه لم يسمع قط ان رجلاً عالمياً تعاطى مثل هذه الوظيفة . اما انا فأجيبكم عن هذه القضية واقول حقاً ان الذين اوردتم على سماعهم هذه القضية لا يعلمون ذلك . اي لا يعلمون ان كان رجل عالمي تصرف قط في هذه الوظيفة . ولكن أما كان يجب على حضرتكم ان تعرفوا ذلك . قل لي اولاً ماذا يكون يوستينوس الشهيد الذي ازهر في الدهر الثاني بعد المسيح اما كان عالمياً . والحال انه كتب والّف كتباً كثيرة من جملتها ما اجاب به الوثنيين ضد اعتراضاتهم على المسيحيين.

وكتابه الذي ردّ به على طريقون اليهودي وغير ذلك من كتبه حتى انه كتب قانون ايمان المسيحيين وجميع كتبه موجودة الى الآن . ثانياً ماذا يكون ترتوبيانوس الذي كتب كتباً كثيرة افاد فيها بيعة الله قبل ان يُسام قسيساً وينشق عن البيعة ثالثاً قل لي ماذا كان اوريغانوس من [١٣١] سنة مايتين واربعة بعد تجسد المسيح الى سنة ٢٣٠ التي فيها ارتسم قساً في قيسارية فلسطين . فماذا كان في مدة هذه الستة وعشرين سنة التي كان يدرس في مدرسة مدينة الاسكندرية ويفسر الكتب المقدسة . ويؤلف كتباً كثيرة . أليس كان عالماً لا غير . رابعاً ماذا كان ديديموس الضرير الذي كان يتعجب القديس انطونيوس من سمو علمه . وقد كتب اكثر من ثلاث آلاف وخمسماية مقالة . اما كان عالماً . خامساً ماذا كان القديس انطونيوس الكبير نفسه الذي بحسب شهادة القديس اوغسطينوس لم يكن يعرف القراءة ومع ذلك فكان يجادل الاريوسية ويحاربهم في اقصى مدة سادساً ماذا كان مكسيموس المعترف. فهل انه كان اسقفاً او كاهناً حتى انه تجاسر على مقاومة المعتقدين بالمشيئة الواحدة وكتب في ذلك رسائل ومقالات . ثم جادل بيروس بطرك القسطنطينية مجادلة مشتهرة في هذا الامر . سابعاً ما كان استفانوس الجديد الذي ناضل عن السجود للايقونات المقدسة محارباً وسبكتاً الذين كانوا ينكرون السجود لها . فان قلتم نعم ان هؤلاء الثلاثة لم يكونوا كهنة الاّ انهم كانوا رهباناً . فأجيب بسذاجة قد الزمتموني بها وانا بنعمة الله وفضله . وان لم اكن راهباً فلست بعالمي على الاطلاق بل متميز عن العالميين بحسب تصرف الخارج . ولي شهادة راهب امام الناس . وان كنت في الباطن اعظم الخطاة امام الله . ولكن ليلا يقنعكم احتجاجكم برهبانية هؤلاء وغيرهم من الذين لم يكونوا كهنة وقد ألفوا كتباً كثيرة . فلنورد مع الذين اوردناهم سابقاً [١٣٢] ولم يكونوا كهنة ولا رهباناً غيرهم من المتأخرين عنهم ونقول : قل لي ثامناً ماذا كان كاسيودوروس الذي فسر سفر المزامير وسفر نشيد الانشاد وغيرهما من الاسفار المقدسة مع مجلدين في التعاليم الالهية . امـا كان عالماً فقط لا كاهناً ولا راهباً . ثم فلاترك كثيرين من الشرق والغرب ليس من الغير مشتهرين بل من المشتهرين في بيعة الله تعالى . واقتصر تاسعاً على القديس يوحنا الدمشقي. فقل لي بحياتك ماذا كان يوحنا . اما كان عالماً لا غير . بل متوغلاً في أشد الامور العالمية . لانه كان حينئذٍ كاتب ديوان ملك السراكـة في الشام . فكيف اذا تقولون للشعب اين وجدتم رجلاً عالماً يؤلف كتباً فان كان جاز لهذا القديس ان يعترض اوليك الذين كانوا يحاربون صور القديسين . ويولف ضدهم اقاويل كثيرة . ناقضاً بهم اقوالهم الخادعة وموجباً السجود لهذه الصور المقدسة مع انه

كان عالياً لا غير . فلماذا لا يجوز الآن لغيره من العالمين ان ينقضوا اقوال الذين يحاربون لا صور القديسين بل صورة قنوم الله الجوهرية عينها بنكرانهم ابتناق الروح القدس منها . وان كان هذا الامر جايزاً حينما كانت كنيسة الله مزدهرة بالمعلمين الاكليريكيين . فلماذا لا يجوز الآن حينما هي في غاية الافتقار اليهم . حينما لا يوجد من هؤلاء واحد يقدر يفتح فمه بكلمة ضد ما يورخ في بيعة الله من الزوزان الاراتيكي . فقد بطل اذا قولكم ان هذا ما صار ولا سمع به قط . وتحقق ان معلمين كثيرين عالمين ازهروا في جميع الدهور بتعاليمهم وتآليفهم وتصرفهم [١٣٣] بهذه النعمة الموهوبة لهم من الله . ولكن ربما تتعللون اولاً بان هذ كان يرضى الاساقفة . ثانياً بانه الان توجد قوانين تنهي عن ذلك . فأجيبكم عن القضية الاولى واقول سلمنا انه كان يرضى الاساقفة ولكن اي اساقفة . هل اساقفة الاراتقة والمنشقين من بيعة الله الذين لا يجب ان يعتبر عدم رضاهم اصلاً . ولعمري انني لو تنازلت معكم الى هذا الامر لما امكنكم الان ان تنكروا رضاكم السابق بتصرفي بهذا الامر الذي تنكروه عليّ الآن . وذلك ان لي نحو عشر سنين ادرّس ظاهراً حتى شمامستك بالتماسك ذلك مني لا مرّة بل مرات . وقد فرضتني مرات بقراءة كتب الاراتقة ونقضها . وقد ألفت لكم كتاباً صغيراً فيما يتعلق بأجزاء ذبيحة القداس ضد معتقدات مطران صيدا . ما عدا ثلاث اربع رسالات بهذا الصدد للمذكور . وجميعها موجودة الى الآن واسمكم عليها . مع انه لا كلمة لكم فيها . وايضاً ألفت بطلبكم وحثكم رسالة ضد اعتقادات الارمن وانتم قبلتموها مني ودفعتموها لهم موضحين لهم زيغانهم عن الحق . ومخالفتهم لكتبهم واقوال ابايهم القديسين وغير ذلك مما وقفتم عليه مما كتبه للرب . حتى ان كتاب الترياق المشفي نفسه الذي دحضت به اقوال ذلك المنافق الفيلادلفي . لم يخف عليكم امره اذ كنت كتبته وقد طلبتم مني ان اجيب لكم منه كراريس لتقفوا عليها . واتيتكم بكراسين من اعظم ما يوجد فيه . وكان ذلك قبل خروجكم من حلب باربعة ايام حينما قرأتم ذينك الكراسين بلفظة بلفظة . وانا حاضر لديكم . ثم قلتم لي بارك [١٣٤] الله حقاً انه ردّ سديد . ودفعتم الكراسين ليدي من غير ممانعة ولا لوم اصلاً . ويشهد بذلك المطران جراسيموس الذي كان حاضراً هذا الامر . فمن هذه الدلايل جميعها يتوكد تصرفي ورضاك الشرعي بهذا الامر الذي ان كنت تريد الآن ان تمنعه فباطلاً تفعل ذلك . لانه لم يبقَ لك هذا السلطان بما اظهرتموه عنكم من الانفصال من بيعة الله . وايضاً لانه لا سلطان لكم ان تزرعوا الفساد الاراتيكي وتأمروا بعدم استعمال الوسايط المفيدة بترعه . وتضرموا النار في بيعة الله . وتوصوا ان لا يطفيها احد ولا يمد اليها يداً .

ثانياً عن القضية الثانية واقول نعم انه يوجد قانون من القوانين المنسوبة ، صدر للمجمع السادس يأمر بانه لا يجب لاحد ان يجادل او يعلم علانية . بل ان يخضع الامر المسلَّم من الرب . ويفتح اذنيه لمن اقيلوا نعمة التعليم متعلماً منهم الاخبات . الاّ ان هذا القانون وغيره ايضاً ومما يوجد من الوصايا الكنائيسية بهذا المعنى انما ينهي عن التعليم الاحتفالي المشتهر على رؤوس ملا كالكرز في المنابر والمجادلات العامة . لا عن التعليم الخصوصي المستتر . ولا عن تأليف الكتب ايضاً وذلك نتحقق اولاً من ان القديس يوحنا الدمشقي لم يمتنع بهذا القانون المتقدم عليه ان يناقض بما كتبه من مقالاته ضد محاربي الايقونات المقدسة وان كان عالياً . ثانياً يتركد كذلك من تفسير جميع علماء الملة الذين يتفسيرهم مثل هذا النهي انما يخصونه بالتعليم الاحتفالي كالكرز على المنابر ولا ينسبونه لغير ذلك . ومع [١٣٥] ذلك يتردون من الوقوع تحت حد الحبي حال الضرورة وحال الامكنة التي يوجد فيها الكاثوليكيون مختلطين مع الاراثقة حيث يبطل هذا بالعادة المضادة . بل يميّزون ايضاً حال الاشخاص بقولهم ان نية الناموس اذا كان المجادل ذا علماً كافياً (كذا) لانتصار الايمان على انه متى دعت الضرورة الى ذلك وكان المجادل العالمي ذا علم كافي لدحض ما يناقض الايمان . فحينئذ ليس انه تجوز له المجادلة الاحتفالية نفسها فقط . بل انه ان لم يجادل ويحمي حجة الايمان يخطئ خطاء ثقيلاً ضد الايمان لانه كما قال القديس اغوسطينوس كل واحد هو جندي في حماية حجة الله . فاذ تدعو الضرورة الى هذه الحماية . فحينئذ يلتزم العالمي المتفقه بمعرفة الايمان باثبات الايمان سواء لم يحضر اكليريكيون او حضروا ولم يكونوا كافيين لهذا الامر . فلا يضاد اذا هذا القانون ولا غيره من الوصايا هذا التعليم الخصوصي والتاليف المكتتب لحماية الايمان ودحض الفساد الاراتيكي . وباطلاً تستندون عليه بذلك فانا لم اكرز ولم اجادل في المنابر . ولكنني اذ رأيتكم تنشرون الفساد الاراتيكي المنافي حقيقة الايمان . وليس من يبادر لدحضه واستيصاله رأيت اني ملتزم لذلك . وذلك حسب قول الذهبي فمه الذي يقول في ميمره الخامس والاربعون (كذا) من تفسيره المناقص لماري متى . انه كما ان الكاهن واجب عليه بان يبشر بحرية الحق الذي سمعه من الله . هكذا العالمي واجب عليه ان يحمي بالشجاعة الحق الذي سمعه من [١٣٦] الله . هكذا العالمي واجب عليه ان يحمي بالشجاعة الحق الذي سمعه من الكاهن والمثبت من الكتب المقدسة . وان لم يفعل ذلك يكن مسلماً الحق . لأننا بالقلب نؤمن للبر . وبالفم نعترف للخلاص . قل لي بحياتك هل يلام الاجير الذي ليس براعٍ اذا حارب الذياب وصدها عن الخراف في حال

حرب الراعي. وعدم اشفاقه على الخراف. وهل للراعي حق على كل من الخراف بان لا تعج على الذياب وتشهرها حينما تدخل في الصيرة. وهل لا يجب على كلّ من الجند ان يمانع ويدافع عن حق ملكه اذا سلم القايد للاعداء واتفق معهم ضده. وان كنت انت القايد قد سلّمت لاعداء ملكنا السماوي. واتفقت معهم ضد حقايق ايمانه التي يملك في قلوب المسيحيين. فاي حق لك عليّ انا الاسير والجندي اذا حاربت الذياب عن الرعية. ومانعت ودافعت عن حق سيدنا يسوع المسيح حينما لا يوجد من يفعل ذلك من الاكليريكيين. قل لي هل كنت تريد ان لا يحمي احد حق المسيح الذي سلمته انت للاعداء والا تعجّ عليك الخراف اذا اتفقت مع الذياب وفسادها. اما هو واجب ان يطاع الله اكثر من الناس وان تفصل كراماته تعالى على كرامة الرؤساء واحتقرين كرامته وهل يجب ان تصمت الخليقة عن الاعتراف بما به مجد خالقها اذا اشمأزت الرؤساء من ذلك. ولم يفعلوا ما يجب عليهم. والحال ان سيدنا يسوع المسيح لم يلم اوليك الاطفال المعترفين بمجده. ولم يأمرهم ان يصمتوا حسب رغبة الرؤساء الذي يختص بهم هذا الامر. ولم يريدوا ان يفعلوه. لكنه حقق لهم ان هذا واجب ان [١٣٧] يتم وضروري بهذا المقدار حتى انه لو حققت هولاي ايضاً لنطقت الحجارة. فقد كان اذاً واجباً ان تعلن حقايق الايمان القايم به مجد الله. وتدحض الاقوال المنافقة لها. وقد كان هذا ضرورياً بهذا المقدار حتى انه لو صمتت العوام الناطقين ايضاً كما صمتت الاكليريكيون لكان يجب ان تنطق الجوامد العادمة النطق. وقد اتضح الآن بطلان لومكم وافتراكم عليّ بانه لا حق لي بما الزمتموني به اضطراراً. على انني لم ارد قط ان اتخذ لنفسي هذه الوظيفة ولا افتكرت بذلك غير اني اذ رأيتك تزرع الفساد الاراتيكي فيما بين المؤمنين وتحارب ايمان بيعة الله. بواسطة الكتب التي استخرجتها. ولم يوجد من يناقض مفعولك هذا التزمت انا بنزع هذا الفساد. وبنقض هذه الكتب. قل لي هل كنت انا اعاني تأليف الترياق المشفي. لو لم تبذر انت ذلك السمّ الفيلادلفي. وهل كنت اجتهد بتأليف التفنيد لولا ما اظهرتموه من الفساد بذلك المجمع العتيد. فانت تقول لي الآن ما بالك وانت عالمي تتعرض لمثل هذه الامور. وانا اجيبك بما اجاب به الراهب الناسك الذي صدفه والقس قيصر الاريوسي. ماضياً ليشدد الكاثوليكيين الذي كان هو يضطهدهم. فاعترضه قايلاً. ما بالك تركت الانفراد ولا تلازم قلايتك حسب عادة السواح المتوحدين. فاجابه ذلك الناسك القديس قايلاً. انني قد فعلت ذلك سابقاً. ولم اخرج من قلايتي اصلاً. واما الآن فاذ تعلقت النار في بيت الله ابينا وانت

يا سيد المبتها . فالترمت ان اخرج [١٣٨] لاطفيها . فهكذا انا احييكم قايلاً بانني سابقاً اعترض نفسي هذه التصانيف . ولكن اذ رأيتك نشرت الفساد الاراتيكي فيما بين المؤمنين . وليس من يمنع ذلك . فعمدت لاستيصاله . فلا تزعجن اذاً مثل هذا الفساد . ولا تلزمني باستيصاله . ثم تضج عليّ بذلك واما ان كنت تزعجه بهذه الكتب الفاسدة المفسدة التي تستخرجها وتنشرها ما بين المؤمنين . فلا ترجعن مني انني اصنت عنك . وان كنت اقل رتبة من عالمي . ولكن قل لي بحياتك كيف لم تأخذك هذه الغيرة نحو كتب شر من الرجس الكلويجي الكافر . ولماذا لم تفتكر في ان تحرم كتبه التي ينشرها الآن ويزرعها بين المؤمنين داحضاً اسرار كنيستك ومحدقاً بها على جسد مسيحك وذبيحة الالهية ومحتقراً كرامة والدته وقديسيه ومعلماً ان السجود لتماثيلها عبادة اصنام . كل يوجد هذا جميعه واكثر منه جداً من التجديف التسع بالكتاب الذي انفه قبل خروجك من حلب . واهداك منه نسخة وقبلتها انت منه بمحبة مغضبة للرب . وهو الان ينشره ما بين المؤمنين بواسطة كاتبه وتلميذه رسمته انت شماساً انجيلياً خلافاً لكل رسم رسولي مقدس وترتيب كنايسي . لماذا تحرم على المؤمنين قراءة تعاليم الاباء القديسين وشهاداتهم المؤلفة منها الكتب التي كتبتها انا باستقامة الايمان . ولا تحرم عليهم قراءة الكتب والتعاليم الكلوينية واللوثرانية المنافية الايمان . ولا تمنع شماسك عن نسخها . اهذا هو عدل الله . اهذه هي استقامة حكمه التي كان يجب عليك ان تحكم حسبها . اهكذا يجب ان يستعمل السلطان [١٣٩] الكهنوتي اعني خلاف غايته للهدم لا للبناء . فتقبل التعاليم الكلوينية وتوادد اصحابها . ولا تعترض انتشارها اصلاً . وتحارب التعاليم الارثوذكسية . وتمنع انتشارها . اواه تُرى باية دالة وباي وجه عتيدون ان تظهر امام ذلك الديان العادل الذي هيأ منبره بالعدل والاستقامة والصدق والحق قوام كرسيه . ذاك الذي يبدّد عظام الذين يختارون رضى الناس على رضاه . ذاك الذي سيستخزي بمن يستخزي بمن يعترف بتعليمه في هذا الجيل الفاسق الخاطئ . ذاك الذي قضى على زارعي الشكوك بالويل الابدي . واوضح انه كان خيراً لهم . اذ يعلق في اعناقهم حجر الرحى ويزجوا في البحر من ان يشككوا احد اخوته الصغار . ذاك الذي سيطلب من الرعاة دم الذين هلكوا من خرافه اما لعدم انذارهم اياهم بالحق . واما لتفضيلهم جاههم وكرامتهم على خلاص نفوسهم . وترى ماذا عتيدون ان ترد له جواباً عن ذلك . وعساه يقنع منا بهذه الحجج العالمية الباطلة الفاسدة المضادة حق ناموسه . الآمر بوضع السراج على المناره . وبالشهادة بحقه لكل احد . وبان لا تفضل خوف هذا العالم على خوفه . ولعله يرضى منا بهذه الطريقة الجديدة التي اخترعناها

خلاف الطريقة التي انتهجها لنا . وهي ان نتفق مع اعدائه المضادين سكران كما يسبب لنا خزياً واحتقاراً لديهم من حقايق ايمانه . لا ان نعترف بذلك امام القواد والملوك والمضطهدين . وكافة الاراتقة المضادين . فحقاً انه ولا وجه لنا اعتذار اصلاً . ولو كان لنا اعتذار بمثل هذه الامور للزم من ذلك كذب الناموس الالهي [١٤٠] حاشا وكلا . أتكلم بهذا نحوكم واعلم انكم تنشيطون من كلامي غضباً وتشتمون وتلعنون . غير اني احسب مثل هذه اللعنات بركات وسبب مجد عظيم . لانه ليس يلعنون من يضاد الفساد الاراتيكي ويقدم معرفة الحق لكثيرين حينما تدعوا (كذا) الضرورة الى ذلك . بل ملعون من يضل الاعمى عن الطريق بنشر التعليم المخالف حسب قوله العزيز . ولا يجب ان يشجب من يقاوم انتشار هذه الكتب المضلة كانه مخالف القوانين بل يشجب بالقانون الرسولي الذي يقضي بالحرم من الدرجات الكنايسية من اشتهر بالزور في كنيسة الله كتب المنافقين كانها كتب مقدسة . لفساد الشعب والاكليروس . فلذلك انا في غاية الطمأنينة والسرور مما تتفوهون به نحوي من هذه اللعنات والشتايم المضادة عدل الرب . ولقد احصل بواسطتها على دالة عظمى . وتعزية وافرة لقوله تعالى . طوباكم اذا اضطهدوكم وعيّروكم وقالوا عنكم كل كلمة سوء من اجلي . فافرحوا بذلك فان اجركم عظيم في السماء . ولا ريب انكم تفترون عليّ وتثلبوني لا لاني سلبت مالكم . ولا لاني خالفت الناموس الالهي او الكنائسي بكبيرة . ولا لفعلي غير ذلك من الاسواء اذ انه بنعمة الله لا تستطيعون ان توردوا عليّ ذنباً شرعياً هكذا استوجب من اجله اللوم بل انما تثلبوني لانني كاثوليكي حقاً مقاوم ما تزرعونه من الفساد الاراتيكي . وبالنتيجة انما تثلبوني وتشتمونني من اجل المسيح . ولذلك انا افرح وأسرّ هذا اكتبه لكم الآن بحشمة ولطافة لما ظهر منكم ضد ما كتبته بسبيلكم . الا اني سوف ابدل [١٤١] صوتي هذا نحوكم ولا اكتفي بهذا ان لم تكتفوا بهذه الافعال المخالفة كل حق وعدل . وحينئذ اما ان اندم او تندموا انتم . ويا ليتكم حقاً تندمون الآن امام الله على جميع هذه الامور المنحرفة الظالمة الصادرة عنكم . اني ارغب ذلك لكم من سيدنا يسوع المسيح امين .

حررت في ٧ آب سنة ١٧٢٤ — تمت

(يتبع)